﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ [القصص: 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ منَ الدُّعاء إلى مقدّمات الاستجابة

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقة التجاءَ موسى عليه السلام إلى الله تعالى، ودعاءَه بأن يُنزِلَ عليه من واسع رحمته وجزيلِ عطائه، ناسبَ الانتقالُ إلى ذكر استجابةِ الله تعالى له، بأن جاءَته مباشرةً إحداهما على استحياءٍ تدعوه لتلبية دعوةِ أبيها، فهو انتقالٌ منَ الدّعاء، إلى مقدّمات الاستجابة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾: (حيي) أصلٌ يدلُّ على الامتلاء بالغضاضة والطَّراءَة والحِسِّ المُرهَف المُتمثِّل في سُرعة التَّأثُّر[1]. والحياء: التَّوبةُ والحِشْمَة، وانقباضُ النَّفس عنِ القبائح وتركُها[2]، وقد حَيِي منه حَياءً، واسْتحيا واسْتَحَى، حذفوا الياء الأخيرة كراهيةَ التقاءِ الياءين، والأخيرتان تتعدّيان بحرف وبغير حرف، يقولون: اسْتِحياءً منك، واسْتَحْياك[3]. ومعنى ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾: على خجلٍ وتَحَشُّمٍ وعفافٍ، شأنَ النِّساءِ الفُضلَيات[4].

2) ﴿لِيَجۡزِيَكَ﴾: (جزي) قيامُ الشَّيءِ مَقامَ غيرِه ومُكافَأَتُه إيّاهُ[5]. والجزاء: المُكافأةُ على الشَّيء، جَزاءً به وعليه، وجازَه مُجازاة

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حيي).
(2) الرّاغب، المفردات: (حيي).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (حيي).
(4) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 10/ 395.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جزي).

وجَزاء، وأصل الجزاء تحصيلُ شيء مقصود من تناول شيءٍ أو معالجته[1]، والجَزاءُ: ما فيه الكفايةُ منَ المُقابلة، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شَرًّا فَشَرٌّ[2]، فالجزاءُ يكون ثوابًا ويكون عقابًا[3]، والمُراد هنا: ليُكافِئَكَ على إحسانك لنا، ويعطيَكَ أجرَ سَقْيِكَ لغنمنا[4].

3) ﴿أَجْرَ﴾: (أجر) الأَجْرُ: الثَّوابُ وبدَلُ المنفعة، وقد أَجَرَه يَأجُره، إذا جَزاهُ وأَثابَهُ وأَعْطاهُ[5]؛ وأَصلُ الأجرِ الكراءُ على العَمل[6]، والأَجْرُ والأُجرة: ما يعود من ثواب العمل دنيويًّا كان أو أُخرويًّا، فهو جزاءُ العمل[7]، والمعنى: جزاءَ وعِوَضَ ما سقيتَ لنا[8].

4) ﴿وَقَصَّ﴾: (قصّ) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تتبُّعِ الشَّيء، من ذلك قولُهم: اقتَصَصتُ الأثرَ إذا تتبَّعتُه[9]، والقَصُّ تَتَبُّعُ الأَثَرِ، والقَصُّ فعلُ القاصّ إذا قصَّ القَصَصَ، وذلك لاتّباعِه خبرًا بعد خبر، وسَوقِه الكلامَ سَوقًا[10]، ويُقال: قَصَّ عليه القِصَّة رواها، وقَصَّ عليه الرُّؤْيا: أخبرَهُ بها، وقَصَّ عليه الخبرَ قَصًّا وقصصًا: أعلمَهُ به وأوردَهُ على وجهه، والقاصُّ: من يأتي بالقِصَّة على وجهها، كأنَّه يتتبّع معانيَها وألفاظَها، والقِصَّةُ الخبرُ ذو الأمورِ المُتتالية[11].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُصَوِّرُ الآيةُ الكريمة حالَ مجيءِ إحدى المَرأتين، وقد أرسلها

هـــل جـــزاءُ الإحـســانِ إلّا الإحسان

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جزى).
(2) الرّاغب، المفردات: (جزاء).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (جزى).
(4) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 50.
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: 10/ 25.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أجر).
(7) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (أجر).
(8) السَّمعانيّ، تفسير السَّمعانيّ: 3/ 218.
(9) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قص).
(10) ابن منظور، لسان العرب: (قصص).
(11) الزّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (قصص).

أبوها بعدَ أن عَلِم بأمر موسى معهما، وهي تتَّجِهُ إلى موسى ﷺ والحياءُ يُحيط بها، فتطلبُ منه تلبيةَ دعوةِ أبيها؛ لإرادته أن يجزيَه أجرَ سقيِه لهما، فمَضَى موسى ﷺ معها إلى أبيها، فلمّا جاء موسى أباها، وأخبره بأخباره، طمأنَهُ وأوصاه بعدم الخوف؛ لنَجاتِه منَ القوم الظّالمين؛ إذ لا سُلطانَ لهم بأرض مدينَ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ استعمالِ حرفِ الفاء:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ﴾ عطفَتْ الجُملةَ على ما سبقها؛ لتُؤذنَ بتعجيل الفَرَج، بأنْ ألهَمَ اللّهُ تعالى أباهما أنْ يُرسل وراءَه وعلى الفور؛ ليُنزِلَه عندَه، ويُزوِّجه ابنتَه، فذلك يَضمَن له أُنسًا في دار غُربة، ومأوًى وعشيرًا صالحًا، وتُؤذنُ الفاءُ أيضًا بأنَّ الرَّجلَ الصّالحَ لم يَتريَّث في الإرسال وراءَه، فأرسل إحدى البِنتَين اللَّتين سقى لهما، فجاءَتْه وهو لم يَزَل عن مكانه في الظِّلّ[2].

الـفـاءُ مُـؤذِنـةٌ بالتَّعقيب بفرَج الـلـه الـقـريـب للقلب الضّارع الغريب

بلاغةُ الحَذفِ وطَيّ الجُمَل:

في قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ حذفٌ، والتَّقديرُ: (فذهبتا إلى أبيهما سريعَتين، وكانت عادتُهما الإبطاءَ في السّقي، فأخبرتاه بما كان من أمر سقي الرّجل لهما، فأمر إحداهما أن تدعوَه له، فجاءت إلى موسى)، فهذا من إيجاز الحذف، وهو حذفُ جُمَلٍ، وغرضُ ذلك: الاختصارُ لدلالة السّياق عليه، ومثلُ هذا الحذفِ يزيد النَّظمَ تأثيرًا وجمالًا[3]، ومن شأنه أن يوقظَ شعورَ المُتتبِّع لأحداث القِصَّة، حتّى يملأَ هذا الفراغَ كما يتصوَّرُه من

لـلـحـذفِ رونـقٌ في دعـوة الفِكر ومناداةِ التّدبّر

(1) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآن الكريم، ص: 579، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 388، وجماعةٌ من علماء التَّفسير، المُختَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 388.

(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 267، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 103.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 298، وابن جزيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 2/ 112، والقنوجيّ، فتح البيان: 5/ 179.

حديث ابنتي الرَّجلِ الصّالح إلى أبيهما عن هذا الغريب الذي سقى لهما، وعن حاله التي هو عليها، وعنِ القوّة التي شهدتاها منه، وعنِ المكان الذي أوى إليه. ثمّ ما كان من مداوَرةِ الرّأي حولَ الصّنيع الذي يصنعونَهُ مع هذا الغريبِ، وهل يبعثون إليه بطعامٍ أو يدعونَهُ إلى البيت، ليرى الأبُ حقيقةَ ما سمع[1]. فمثلُ هذه التّصوّراتِ وغيرِها ممّا يَسْنَحُ في الخاطر، ولها موقعٌ في ذِهن المخاطَب، من شأنها دعوةُ المُتفكِّر إلى استحضار المشهد، ومناداةِ الحَدَث.

نُكْتَةُ الإضافةِ وعدمِ التّعيين:

أُضيف (إحدى) إلى الضّمير في قوله تعالى: ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾، أي: إحدى المرأتين، دون التّعريف بها بأنَّها الصّغرى أوِ الكُبرى، فهذا ليس مقصودَ النَّظمِ والسّياق، إذِ المقصودُ بيانُ العبرةِ في كون إحدى المرأتين قد أتت موسى عليه السلام، تدعوه للاستجابة لدعوة أبيها لإكرامه جزاءَ فعلِه، فالإبهامُ مقصودٌ، وغرضُ القرآنِ بيانُ إتيانِ إحدى المرأتين، لا تعيينُ اسمِها أو وصفِها.

الإبهامُ يُعيِّنُ المقصودَ بالاعتبارِ ويدفعُ ما سواه

سِرُّ التَّقييد بفعل ﴿تَمْشِي﴾:

ذَكَرَ النَّظمُ الكريم جُملةَ ﴿تَمْشِي﴾، مع إغناء قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ﴾ في ظاهر النَّظر عن ذِكْر المشي، وذلك أنَّ المَجيء قد يكون مَشيًا، أو هرولةً، أو سعيًا، أو ركوبًا، فذِكْرُ المشي يُبيِّن حالةَ المَجيء، وليُبنى عليه قولُه تعالى: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾، فالاستحياءُ صفةُ المشي.

بيانُ المَجيء بأنَّه مَشيٌ يُحيط بهِ الاستحياءُ

بلاغةُ الاستعارةِ في استعمال حرفِ الاستعلاء:

حرفُ ﴿عَلَى﴾ في قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ للاستعلاء المجازيّ؛ وذلك لتشبيه الحياءِ بمَرْكَبٍ لها، وهي مُتمكِّنةٌ منه، مالكةٌ لزِمامه، فعَبَّر بحرف الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾[2]؛ استعارةً

تمكُّنُ الحياءِ في المرأة يجعلُها تمشي في الأخلاق لا على الأرض

(1) الخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 10/ 335.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 268.

للتّمكُّن منَ الوصف، والمعنى: أنَّها مُستحييَةٌ في مشيتها، أي: تمشي غيرَ مُتبخترةٍ ولا مُتثنّيَةٍ ولا مُظهِرَةٍ زينةً[1]، فهي ربيبةُ بيتِ النُّبوَّة التي تمشي مشيًا رفيقًا، قدِ انضمَّ بعضُها إلى بعض، فكأنَّها على مَطيّة استحياءٍ؛ خَجَلًا من أن تأتيَ وحْدَها، وتكلِّمَ رَجُلًا ليس من محارمها، إنّها لا تمشي على الأرض، ولكنّها تمشي على حياءٍ، تتعثَّرُ فيه قدماها، وتَقْصُر به خطاها، ويضطربُ له كيانُها[2].

دلالةُ التَّعبير بالمصدر المزيد:

شِـدّةُ الحياءِ يناسبُها التّعبيرُ بمصدرٍ مزيدٍ للمبالغة

جاء المصدر ﴿ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ المزيدُ بأحرف الزّيادة؛ لأنَّه أبلغُ في دلالته منَ المصدر العاديّ، فناسبت شِدَّةُ الحياء أن يُجاء لها بمصدرٍ مزيدٍ[3]، مُبالَغةً في الحياءِ، مثل الاستجابةِ.

غرضُ تنكيرِ لفظ ﴿ٱسْتِحْيَآءٍ﴾:

تعظيمُ الحياءِ الدّالِّ على شَرَفِ المرأة

نُكِّر لفظ ﴿ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ للتَّعظيم، أي: حياءٍ عظيمٍ موجودٍ منها؛ لأنَّها كُلِّفتِ الإتيانَ إلى رجل أجنبيٍّ تُكلِّمُه وتُماشيه[4]، وللتَّفخيم[5]؛ لأنَّ الحياء الذي هو عبارةٌ عنِ الحِشْمَة والانقباض عنِ القبائح أبرزُ طابع يُميِّزُ الفتياتِ العفيفاتِ وكرائمَ النّساء، ولا سيما إذا كان المخاطَب رجلًا وليس مَحْرَمًا من محارمهنَّ، ممّا يَدُلُّ على شرف معدنِها[6].

بلاغةُ حذفِ الحال في الجُملة الكريمة:

إذا جَلَّل الحياءُ امرأةً أحاطَ بها، واستصحبَها في كلِّ الأحوال

قولُه تعالى: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ مُتعلِّقٌ بمحذوف، هو حالٌ من ضمير ﴿تَمْشِى﴾ أي: جاءته تمشي كائنةً على استحياء؛ فمعناه أنَّها كانت

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 103.
(2) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 335.
(3) عبد العال مكرم، تطبيقات نحويَّة وبلاغيَّة، ص: 315.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 268.
(5) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 9، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 103.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 103.

على استحياء حالتَي المشي والمجيء معًا، لا عندَ المجيء فقط[1]، وهذا دليلُ كمالِ إيمانها، وشرفِ عُنصرِها؛ لأنَّها كانت تدعوه إلى ضيافتها، ولم تعلم أيُجيبُها أم لا؟ فأتَتْهُ مُستحييَةً[2].

بلاغةُ الاستئناف البيانيّ:

ما ينقدح في الأذهانِ يحضر في البيان

جاءت جملة ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ مُستأنفةً استئنافًا بيانيًّا، وهو جوابُ سؤالٍ مُقدَّرٍ مَبنيٍّ على سُؤالٍ نشَأَ مِن حِكايةِ مَجيئِها إيّاهُ ﷺ، كأنّه قيل: ماذا قالت له لمّا جاءَتْهُ؟[3]. وهذا من شِبه كمالِ الاتّصال، حيثُ تتشوَّفُ النَّفسُ إلى جواب هذا السُّؤال، وتتشوَّقُ إلى معرفته، فتأتي الجملةُ الأُخرى جوابًا عن هذا السُّؤال المُقدَّر، الذي يتشوّف إليه السّامعُ من أمرها ومعرفةِ سببِ مجيئِها[4].

فائدةُ التَّعبيرِ بالاسميَّة المؤكَّدة:

يُظهِر التَّوكيدُ الحالةَ النَّفسيّة للمُتكلّم بحسَبِ السّياق

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ جملةٌ اسميَّةٌ مؤكَّدة، والمعنى: أنَّها على الاستحياء قالت هذا القولَ، وهو ما يعكس حياءَها، وكأنَّها تقول: لا شأنَ لي فإنَّ أمر الدَّعوة قد صدر عن أبي، فالتَّوكيدُ لتصوير الحالةِ النّفسيّة التي هي عليها، لا للإنكار أوِ التّشكيك، وإعلامٌ بما لأبيها منَ الرَّغبة إلى لقائه، ولإدخال المَسرَّة على المُخْبِر له[5]، مع حِكاية ما في كَلامِها مِن تَحقيقِ الخبرِ اهتِمامًا به[6].

فائدةُ إسنادِ الدَّعوة إلى الأبِ:

المرأةُ العاقلةُ تلتزمُ أمرَ أبيها وتستند إلى حكمته

أُسنِد فعلُ الدّعوةِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ إلى الأب، وعُلِّل بالجزاء لئَلّا يوهِمَ كلامُها ريبةً، وفيه منَ الدّلالة على كمال

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 9.
(2) القنوجيّ، فتح البيان: 5/ 179.
(3) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 168، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 9.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 268.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 268.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 104.

العقل والحياء والعِفَّة ما لا يخفى[1]؛ فَبيَّنتِ الدّاعيَ والغرضَ منَ الدَّعوة؛ قيامًا منها بتبليغ رسالةِ أبيها كما هي، وتوضيحًا أنَّ الدّعوة صادرةٌ منه لا منها، ورفعًا لِكُلِّ شبهة أو ريبةٍ يمكن أن تُحمَل عليها[2]، وفي ذلك دلالةٌ على أنَّ الرَّجلَ الصّالح لم يكن له مُعينٌ سِواهما[3]؛ ولو كان في استطاعته أن يسعى إلى موسى لما بعثَ بابنته إليه، ولَجاء إليه بنفسه يدعوه إلى النّزول عنده، وهو الغريبُ الذي لا مأوَى له في هذا البلد[4].

نوعُ اللّام ودلالتُها:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَكَ﴾ للتّعليل، أي: ليعطيَكَ مكافأةً لك؛ لأنَّ المكافأة من شيَم الكِرام، وقَبولُها لا غضاضةَ فيه، فاللّام لبيان سببِ هذه الدَّعوة الكريمة[5].

نُكْتَةُ استعمالِ مُفردة الجزاء:

أكـرَمُ الإكـرام ما كـان مـدفوعَ الحـرجِ، مرفوعَ الجُناح

استَعمل النّظمُ الكريم لفظَ الجزاءِ في قوله تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَكَ﴾، والجزاءُ يكونُ عن مقابِلٍ، وفعلُ موسى ﷺ كان معروفًا محضًا، لم يَطلب عليه جزاءً، وذلك أنَّ ما صدر عن والد المَرأتين هو ردٌّ للجميل، واعترافٌ بالفضل، فنَزَّلَ رَدَّ الجميلِ منزلةَ الجزاءِ؛ لدَفْعِ الحَرجِ، ورَفعِ الجُناح.

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ الأجر:

يُـطـلَـق الأجـرُ على رَدِّ الجميلِ والاعـتـرافِ بالإحسان

الأجر: التَّعويضُ على عملٍ نافع للمُعَوّض، ومنه سُمّيَ ثوابُ الطّاعات أجرًا، قال تعالى: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ﴾ [محمّد: 36]، وانتصب لفظُ ﴿أَجۡرَ﴾ على المفعول المطلق؛ لبيان نوع

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 20/ 59.
(2) المَغراويّ، التَّدبُّر والبيان: 25/ 265.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 590.
(4) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 336.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 268، والعثيمين، تفسير سورة القصص، ص: 96.

الجزاء وأنَّه جزاءُ خير، وهو ردُّ الجميلِ، وليس هو من معنى إجارة الأجير؛ لأنّه لم يكن عن تقاولٍ ولا شرطٍ ولا عادة[1]، فالمُراد بالأجر هنا، ليس مجرّدَ الأجر المادّيّ، وإنّما هو جزاءُ إحسانٍ بإحسان، ولقاءُ معروفٍ بمعروف[2].

نوعُ ﴿مَا﴾ ودلالتُها في ﴿مَا سَقَيْتَ﴾:

أداة ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ مصدريَّةٌ، ولا يجوز أن تكون موصولةً؛ لأنَّ ما يَستحِقّ عليه الأجرَ فِعْلُه لا ما سقاه، إذ هو الماءُ المُباح، فلا يصِحّ تقديرُ: (أجر الذي سقيتَ)؛ لأنَّها تريد من والدها أن يُعطيَه أجرَ سقْيِ الغنم، ولا تريد أن يعطيَه أجرَ الغنم أو الماء[3]، وأيضًا فإنَّ ما أُعطيَ في بَدَله لا يُسمَّى أجرًا بل ثمنًا؛ لأنَّه تبرُّع[4]، فيكون المعنى: ليجزيَكَ أجرَ سقيكَ، وهو الفعلُ الصّادرُ عن موسى عليه السلام في قوله: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾.

(ما) مصدريّةٌ فالأجرُ على السَّقي لا الماءِ

عِلَّةُ حذفِ المفعول:

حُذِفَ مفعولُ فعلِ السَّقي في قوله تعالى: ﴿مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، أي: ليُكافئَكَ على عملِكَ الذي سقيتَ لنا به ماشيَتَنا، فحُذف المفعولُ به (ماشيتنا) اختصارًا؛ لكونه معلومًا من سياق الآيات[5]، ولأنَّ الجزاء على السّقاية لا على كون السّقايةِ لغنم أو إبلٍ، فإنَّ الاعتناءَ بفعل السّقاية، وهو الفعلُ الصَّعب، والعملُ الشّاقُّ، وهو ما يعكس حالةَ الشّكرِ والمَدحِ لدى هذه العائلة الكريمة، لِما قام به موسى عليه السلام تجاهَها.

تمامُ الشُّكرِ في حُسنِ تقديرِ أعمالِ الآخَرين

فائدةُ تقييدِ الفعلِ بشِبه الجُملة:

آثَرَ النّظمُ الكريم ذِكْرَ الجارِّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿مَا

صنيعُ موسى عليه السلام رعايةٌ غيرُ مسبوقةٍ، وعنايةٌ غيرُ مشهودَةٍ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 104.
(2) الخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 10/ 336.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 273، والعثيمين، تفسير سورة القصص، ص: 97.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 497.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 268.

سَقَيْتَ لَنَا﴾ بخلاف المفعول فقد حُذِف؛ وذلك لإظهار الشُّعورِ بالامتنان، فإنَّ مدارَ الأمر عند المرأتين هو في كونه سقى لهما في ذلك الظَّرف الصَّعب، لا في كونه سقى الماشيةَ، وهذا الصّنيعُ هو ما جعلَهُما تشعران بالرّعاية غيرِ المسبوقة، وبالعنايةِ غيرِ المشهودةِ في قومهما، وهو كذلك خطابٌ مقنِعٌ لقَبول الدَّعوة، فإنَّ إشعارَ الكريم بالامتنان أدْعَى للاستجابة.

نوعُ الفاء ودلالتُها في ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾:

طـيُّ الأحـداثِ من مزايا قَصَصِ القرآن

دلَّتِ الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾ على سُرعة المَجيء، أي: فأسرع في الإجابة لِما بينَهما منَ المُلاءمة[1]، ففيها تعقيبُ المجيءِ بعدَ إخبارِها بدعوة أبيها له، وطَلَبِ القُدوم عنده، وهي معطوفةٌ على جملة مطويَّة، أي: فأجابَها بعد سماع دعوةِ أبيها، وتَحرّكَ تجاهَهُ.

دلالةُ العطفِ بالواو في ﴿وَقَصَّ﴾:

المـقـصـودُ هـو الإخـبـارُ بـالـحَـدَث، لا سُرعةُ الإخبار

الواو في قوله تعالى: ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ عطَفَتْ فعلَ القَصِّ على فعل المَجيء؛ لبيانِ حاجة موسى ﷺ بأن يتحدَّث بما جرى له مع ثِقةٍ، وأتى بالواو لا بالفاء؛ لأنَّ المقصود بيانُ الإخبارِ بالحَدَث، لا بيانُ سُرعةِ الإخبار، فقد جاء وقَصَّ القَصَص على الشّيخ الكبير، ولمّا كانتِ العوائدُ أن يُفاتَحَ الضَّيفُ بالسُّؤال عن حاله وسببِ مَقْدِمه، حَسُنَ عطفُ ذِكْرِ قَصِّ موسى ﷺ قِصَّةَ خُروجه ومَجيئِه على الرَّجل الصّالح، وذلك يقتضي أنَّ والدَ البِنْتَيْن سألَه عن سبب قدومِه، والقَصَصُ الخبرُ، ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ﴾ أخبره بأمره والسَّببِ الذي أخرجه من أرضه[2].

نُكْتَةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور على المفعول:

أعظمُ مجالسِ الدُّنيا محادثةُ ثِقَةٍ بعدَ طولِ تعب

قُدِّم الجارُّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ على

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 268.
(2) الثَّعلبيّ، الكشف والبيان: 7/ 244، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 104.

المفعول؛ اهتمامًا بالمُقدَّم، وتشويقًا إلى المُؤَخَّر، فإنَّ المقصود بيانُ حاجةِ المُتكلِّم إلى ثِقةٍ، وقد رأى في الشّيخ والدِ المرأتين ما يدعوه للكلام، وإخراجِ مكنونِ النَّفس، فإنَّ ذلك ممّا يُريح النّفسَ، ويُخفِّفُ من ثِقَل الشُّعور بالتَّعب، فاجتمع له بعد ذلك السَّفرِ الطّويلِ أمران؛ التّكلّمُ لإخراج مَكنون النّفس، وأن يكون الكلامُ متّجِهًا إلى ثِقَةٍ.

معنى التَّعريف في لفظ ﴿ٱلۡقَصَصَ﴾:

جاءت لفظةُ ﴿ٱلۡقَصَصَ﴾ مُعّرفةً، والتَّعريف إمّا أن يكون عوضًا عنِ المُضاف إليه، أي: قصصِ ما حدثَ له، أو للعَهْد الصَّريح[1]، وهو الذِّكري، أي: القَصَصَ التي ذُكِرَت آنِفًا[2].

الإشـــارةُ إلى قصص ما حدثَ له، أوِ القصصِ الـتـي ذُكـرت سابقًا

غرضُ النَّهي ودلالتُه في ﴿لَا تَخَفۡۖ﴾:

خاطبَ الشّيخُ الكبيرُ موسى ﷺ بجُملة إنشائيَّة طلبيّة بقوله: ﴿لَا تَخَفۡۖ﴾، وهي نهيٌ لموسى ﷺ عنِ الخوف؛ وذلك ليَطْمَئِنَّ قلبُه ويزيلَ عن نفسه الخوفَ؛ لأنَّه أصبح في مأمن من أن يناله حُكمُ فرعونَ؛ لأنَّ بلاد مدينَ تابعةٌ لمُلك الكَنعانيّين، وهم أهلُ بأسٍ ونَجْدَة، ومعنى نهيهِ عنِ الخوف: نهيُهُ عن ظَنِّ أن تنالَه يَدُ فرعون[3].

مـــن مـقـاصـد الـنَّـهـي دفـعُ الـخـوفِ وإنـزالُ الطّمأنينةِ

غرضُ تقديمِ النَّهي على الإخبار:

في قَوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قَدَّم ذِكْرَ النَّهي عنِ الخوف؛ لأنَّه وعدٌ بالأمان، على البِشارةِ وهي الإخبار بالنَّجاة، فهي من تقديم التّخليَة على التَّحليَة.

التّخليَةُ مُقدَّمةٌ على التّحليَة

بلاغةُ التَّذييل بالتَّعليل:

جُملةُ: ﴿نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مُعلِّلةٌ للنَّهي عنِ الخوف[4]،

نـفسُ الـخـائـفِ تـحـتـاجُ إلى خـطـاب الـطُّـمـأنـيـنـة والإقناع

(1) العهد الصَّريح: هو أن يتقدَّم ذِكْر المعَّرف صراحة، كقولنا: جاء رجل، فأكرمت الرّجل. يُنظر: القزوينيّ، الإيضاح: 2/ 32.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 104.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 104.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 105.

فهذا القولُ منَ الشَّيخ الكبير لموسى ﷺ، صادفَ مكانَه، وطابقَ مقتضاه، فقد كان موسى ﷺ أحوجَ ما يكون في ذلك الوقت إلى نعمة الأمان والاطمئنان، بعد أن خرجَ من مصر خائفًا يترقَّبُ[1].

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾:

أعـظـمُ الـنّـاسِ ظُلْمًا القائمون عليه الرّاسخون فيه

آثَرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولم يقل: (نجوتَ منَ الظّالمين)؛ وذلك لبيان أنَّهم قاموا واجتمعوا وتعاونوا على الظُّلم، فقيامُهم في الحياة مُرتكزٌ على الظُّلم، ومجمعُ قوّتِهم دائرٌ حولَ الظُّلم، فهم قومٌ ظالمون في أعمالهم وأفعالهم وقيامِهم واجتماعهم.

نُكْتَةُ الجمعِ دونَ الإفراد في ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

الـوعـدُ بالنَّجاة مـــنَ الـظّـالـمين أرسخُ من قَصْره على واحد

آثَرَ النَّظمُ الكريم على لسان الشّيخ الكبير وصفَ قوم فرعون، لا الاكتفاءَ بذِكْره، فقال تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولم يقُلْ: (نجوتَ مِنَ الظّالم)، وهذا يَدُلُّ على أنَّ جنودَ الظّالمِ ظَلَمةٌ، فالطّاعةُ فيما فيه ظُلْمٌ مُحَرّمةٌ، وهي طاعةٌ لمَخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ[2]، ولبيان شُيوعِ الأمان، فإنَّ النَّجاة منَ الجميعِ أعمُّ وأشملُ، وهو وعدٌ مَليءٌ بالبشارة، مُكتَملُ الأركان في دفع المخاوفِ والوساوسِ.

توجيهُ تخصيصِ الظُّلم بالذِّكر:

أعـظـمُ معاناةٍ واجـهـها موسى ﷺ هي الظُّلمُ والبَغي

خَصَّ النَّظمُ الكريم الظُّلمَ بالذِّكر في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، دون صفة الفسق أوِ الكفر ونحوِ ذلك؛ لأنَّ أعظم ما عاناه موسى ﷺ من قومه هو ظلمُهم له، فوَصْفُ الشّيخِ الكبير لهم بالظّالمين؛ تصديقٌ لما أخبرَه به موسى من رَوْمِهِمْ قتلَهُ قصاصًا عن قتل خطأ، وما سبق ذلك من خبر عداوتِهم لبني إسرائيل[3].

(1) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 10/ 395.
(2) العثيمين، تفسير سورة القصص، ص: 104.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 105.

بلاغةُ مطابقةِ ألفاظِ الوعدِ لألفاظِ السُّؤال:

تطابُقُ البشارةِ مع دعاءِ موسى بطلب النَّجاة عند خُروجه من مصر

مِن لطيف ما جاء في استجابة الدُّعاء مطابقةُ الوَعْدِ للسُّؤال؛ فموسى عليه السلام قد دعا ربَّه عندَما خَرَجَ خائفًا يترقَّب فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: 21]، فجاءت البِشارةُ والتّطمينُ منَ الشّيخ الكبير بقوله: ﴿لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فقولُه: ﴿لَا تَخَفْ ۖ﴾ إجابةٌ لِقولِه: ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ﴾ [القصص: 21]، وقولُه: ﴿نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إجابةٌ لِقولِه: ﴿نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: 21]، وهكذا تكونُ إجابةُ اللهِ تعالى للمُضْطَرِّ مُطابِقةً تمامًا لسُؤالِه؛ إذْ لا سُلطانَ لفِرعَونَ على مَدْيَنَ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأجْرُ والثَّواب:

الأجْرُ والثَّواب

الأجْـــرُ في المـعـاوَضـة، ويغلبُ الثَّوابُ في الحسنات

الأجْرُ: هوَ جَزاءُ العَمَلِ الذي يَكونُ فيهِ عَقْدٌ أوْ ما يَجْري مَجْراهُ، والشّاهِدُ أنَّكَ تَقولُ: ما أعْمَلُ حَتَّى آخُذَ أجْري، ولا تَقولُ: ثَوابي.

أمّا الثَّوابُ: فَقَدِ اشتُهِرَ في الجَزاءِ على الحَسَناتِ[2]، والأجْرُ يُقالُ في هذا المَعْنى، ويُقالُ فيما مَعْناهُ المُعاوَضَةُ بِالانْتِفاعِ[3].

الخَوْفُ والخَشْيَة:

الخوفُ توقُّعُ حلولِ مكروهٍ أو فواتِ محبوب، والخشيةُ خوفٌ يشوبُهُ تعظيمُ المَخْشيّ مع معرفته

الخَوْفُ: انْفِعالٌ في النَّفْسِ يَحْدُثُ عِنْدَ تَوَقُّعِ حُلولِ مَكْروهٍ، أوْ فَواتِ مَحْبوبٍ[4] عَنْ أمارَةٍ مَظْنونَةٍ، أو مَعْلومَةٍ[5]، وفي التَّنْزيلِ: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: 19].

وأمّا الخَشْيَةُ: فخَوْفٌ يَشوبُهُ تَعْظيمُ المَخْشيِّ، مَعَ المَعْرِفَةِ بِهِ[6].

---

(1) العثيمين، تفسير سورة القصص، ص: 100.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 17.
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (أجر).
(4) الجرجانيّ، التّعريفات، ص: 101، والأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: 2/ 66.
(5) الرّاغب، المفردات: (خوف).
(6) السّيوطيّ، معجم مقاليد العلوم، ص: 204، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 155.

كما أنَّ الخَوْفَ يتَعَلَّقُ في الغالِبِ بِالمَكْروهِ نَفْسِهِ، أمّا الخَشْيَةُ فتتَعَلَّق بِمَنْزِلةِ المَكْروهِ[1]، ولِهَذا جاءَ التَّفْريقُ بَيْنَهُما بِحَسَبِ هذا المَعْنى في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرَّعْد: 21]، فالخَشْيَةُ تَكونُ مِنْ عِظَمِ المُخْتَشَى، وإنْ كانَ الخاشي قَويًّا، والخَوْفُ يَكونُ مِنْ ضَعْفِ الخائِفِ، وإنْ كانَ المَخوفُ أمْرًا يَسيرًا، ولِذا وَرَدَتِ الخَشْيَةُ غالِبًا في حَقِّ اللّه تَعالَى نَحْوَ: ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 74]، وقولِه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطِر: 28][2]، وعلَيْهِ تَكونُ الخَشْيَةُ أخَصَّ مِنَ الخَوْفِ، فَهيَ خَوْفٌ مَقْرونٌ بِمَعْرِفَةٍ وتَعْظيمٍ[3].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 241.
(2) السّيوطيّ، الإتقان: 2/ 364.
(3) ابن قيّم الجوزيّة، مدارج السّالكين: 1/ 508.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»